مقدمات حول سورة الفاتحة

جمعها وكتبها

أ.د. يوسف بن عبد العزيز الشبل

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٤١هـ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه،
وبعد، فهذه مقدمة حول التعريف بسورة الفاتحة تقرب للقارئ ما اشتملت عليه السورة من معاني وفضائل وأحكام بإيجاز، والله المعين وعليه التكلان.

أولًا: أسماؤها:

لسورة الفاتحة أسماء كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم منهم الإمام الرازي والقرطبي والسيوطي وغيرهم، حيث تدل كثرة الأسماء على شرف المسمَّى ومكانته. وأشهر أسمائها الفاتحة، والفاتحة في اللغة: مشتقة من الفتح وهو نقيض الإغلاق، وفاتحة الشيء أوله، وفواتح السور هي أوائله. وتسمى فاتحة الكتاب وفاتحة القرآن. ولها أسماء أخرى بعضها أسماء توقيفية وبعضها اجتهادية، ومن أسمائها:

أولًا: فاتحة الكتاب: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: " هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته " رواه مسلم في صحيحه. وسميت بذلك: لأنه يفتتح بها في المصحف والتعليم، والقراءة في الصلاة.

ثانيًا: أم القرآن أو أم الكتاب: روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِدَاج – ثلاثاً – غير تمام»، رواه مسلم في صحيحه. ويعود سبب تسميتها إلى: أن أم الشيء أصله والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، المعاد، النبوات، إثبات القضاء والقدر لله، وهذه السورة اشتملت على هذه الأمور الأربعة، ولهذا لقبت بأم القرآن لاشتمالها على الأمور الأربعة، فهي أصل القرآن.

ثالثًا: السبع المثاني: قال تعالى:(وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ)، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم أمَّ القرآن، فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». رواه الترمذي والنسائي وأحمد بسند صحيح.

وسبب تسميتها بالسبع لأنها سبع آيات. أما سبب تسميتها بالمثاني فهناك عدة وجوه: فقيل لأنها تُقرأ في الصلاة فتثنى في كل ركعة، وقيل لأن الله أنزلها مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة.

رابعًا: القرآن العظيم: جاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم أمَّ القرآن فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». رواه الترمذي والنسائي وأحمد بسند صحيح. سميت بذلك: لتضمنها جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله تعالى بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم.

خامسًا: الصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد: {الحمد لله رب العالمين}، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: {الرحمن الرحيم}، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: {مالك يوم الدين}، قال: مجدني عبدي، فإذا قال: {إياك نعبد وإياك نستعين}، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. سميت بالصلاة، لأنها لا تصح إلا بها كقوله صلى الله عليه وسلم:" الحج عرفة " ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة.

سادسًا: سورة الحمد: عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: " ألم يقل الله: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} [الأنفال: ٢٤]. ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: {الحمد لله رب العالمين} «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»، رواه البخاري في صحيحه. وإنما سميت بالحمد؛ لافتتاحها بلفظ الحمد.

وغير ذلك من الأسماء أو الأوصاف الواردة فيها، قال السيوطي في الإتقان: (وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسمًا وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى).

ثانيًا: عدد آياتها:

جمهور أهل العلم من القراء والمفسرين أن آيات سورة الفاتحة سبع، ولم يخالف في ذلك إلا الحسن البصري حيث قال إنهن ثمان آيات، ونُسِب أيضًا لعمرو بن عبيد وإلى الحسين الجعفي قولهما إنهن ست آيات. واستدل الجمهور على أن السورة سبع آيات بحديث أبي سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»، رواه البخاري.

أما تحديد الآيات السبع فهو ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد الحمد لله رب العالمين فأقول حمدني عبدي، فإذا قال العبد الرحمن الرحيم يقول الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال العبد ملك يوم الدين، قال الله مجدني عبدي، وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل». رواه مسلم. سبب اختلاف عد الآيات هو أن أهل مكة والكوفة يعدون البسملة آية من الفاتحة، وقالوا إن قوله (صِراط الَّذِين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ هي آية تامة، وذهب إلى ذلك الشافعية. أما أهل المدينة والبصرة والشام فلم يعدوا البسملة آية من الفاتحة، وقالوا: إن قوله ﴿صراط الَّذِين أَنعمتَ عليهم﴾ آية، وقوله ﴿غير المغضوبِ عليهِم ولا الضالِّين﴾ آية، وذهب إلى ذلك الأحناف. ذكر ابن قدامة في المغني، والنووي في المجموع، وابن حزم في المحلى أن الشافعي وابن المبارك وأحمد في رواية عنه جعلوا البسملة آية مستقلة في الفاتحة، ولا تصح الصلاة دونها، ورجح هذا المذهب النووي وابن حزم. ومن أوضح حجج هذا المذهب حديث الدارقطني والبيهقي: إذا قرأتم الحمد لله، فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم الكتاب والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها. وصححه بعضهم، وقيل موقوف على الصحابي.

وذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية ذكرها ابن قدامة في المغني إلى أن البسملة ليست آية مستقلة في الفاتحة، ومن أوضح ما احتجوا به ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأوا يقول العبد الحمد للهِ رب العَالمين، يقول اللهُ عز وجل: حمدني عبدي). وقد بدأ الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، ولم يذكر البسملة، ويضاف إلى ذلك ما استفاض من عدم جهر الرسول وخلفائه بها في الصلاة، فقد روى أنس بن مالك قال: صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر وعثمَان، فكانوا يستفتحون بالحَمد لله رب العالمين، لاَ يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها.

فالبسملة في الفاتحة قد وقع في عدها من الفاتحة خلاف بين العلماء يرجع إلى ما حفظه وتلقاه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله وعليه وسلم يقف في قراءته غالبًا عند رؤوس الآي، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون منه، وبهذا عرفوا رؤوس الآي، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يقف أحيانًا على غير رأس الآية لبيان الجواز، فيظن بعض الصحابة ممن لم يسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم وقف على رأس الآية سابقًا أن هذه الكلمة التي وقف عليها هي رأس الآية، هذا هو السبب، وهناك سبب آخر أشار إليه الزركشي في البرهان، وهو اختلاف العلماء في عد بسم الله الرحمن الرحيم حيث اختلفوا فيها أهي آية أم ليست آية. وهذا السبب لا يعم كل ما وقع فيه خلاف». أما الحسن البصري فقد عد البسملة آية وعد أنعمت عليهم آية فصارت بذلك ثمان آيات.

ثالثًا: زمن نزولها:

اختلف العلماء في ذكر زمن نزول سورة الفاتحة، فقال أكثر العلماء إنها نزلت بمكة، وقال بعضهم، ومنهم ومجاهد والزهري وغيرهم إنها بالمدينة، وقيل إن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر بالمدينة، وقيل: إنها نزلت مرتين: مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة فصارت مكية مدنية. والأصح أنها مكية ومن أوائل ما نزل بمكة لما جاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم أم القرآن فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، هي

السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». رواه الترمذي والنسائي وأحمد بسند صحيح.
وسورة الحجر مكية بلا خلاف بين العلماء، كما أن الرسول قام بمكة بضع عشرة سنة فكان يصلي صلاته بفاتحة الكتاب.

رابعًا: فضلها:

جاء في فضل سورة الفاتحة أحاديث منها:

١-أنها أعظم سورة في القرآن الكريم، روى البخاري عن أبي سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه أنه قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجب حتى صليت، ثم أتيته فقال: ما منعك أن تأتي، فقلت يا رسول الله: إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: يا أَيها الَذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إِذا دعاكم لما يحيِيكم، ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له يا رسول الله: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

٢-أنها شفاء ورقية يُرقى بها، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفَرَنا غَيْبٌ فهل منكم راقٍ، فقام معها رجل ما كنا نأْبَنُهُ برقية، فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنًا فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو ترقي، قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئًا حتى نأتي ونسأل رسول الله فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم». ومعنى "نفرنا غيب: رجالنا غائبون"، و"نأبنه برقيه، نعلم أنه يرقي".

٣-أن الصلاة لا تصح إلا بها، فسورة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، فالصلاة لا تصح إذا لم تُقرأ الفاتحة فيها على الرأي الراجح عند جمهور العلماء، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، متفق عليه، وعن أبي هريرة عن النبي قال: «من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثاً- غير تمام»، رواه مسلم.

٤- أنها تسمى الصلاة لكون الصلاة لا تصح إلا بها، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: "قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين قال الله تعالى: مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل".

٥- أنها نور، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: " هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته "، رواه مسلم. والنقيض الصوت.

٦-أنها أعظم ما أنزل الله على نبي من الأنبياء، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم أمَّ القرآن فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى وأحمد في المسند، وهو صحيح.

خامسًا: مقصد سورة الفاتحة ومحورها:

حوت معاني القرآن العظيم واشتملت على مقاصده الأساسية إجمالًا، فتناولت أصول الدين وفروعه، العقيدة، العبادة، التشريع.

الإيمان باليوم الآخر والإيمان بصفات الله الحسنى وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء والتوجه إليه جلّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقة والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه وغير ذلك من المقاصد والأهداف فهي كالأم بالنسبة لباقي السور الكريمة ولهذا تسمى بأم الكتاب.

فمحور سورة الفاتحة تقرير العقيدة والعبادة ومنهج الحياة.
العقيدة في: (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين).
العبادة في: (إياك نعبد وإياك نستعين).
منهج الحياة في: (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضآلين). فكل ما يأتي في كل سور وآيات القرآن هو شرح لهذه المحاور الثلاث.
يقول ابن القيم في كتابه الفوائد: (فأوّل السُّورَة رَحْمَة وأوسطها هِدَايَة وَآخِرهَا نعْمَة وحظ العَبْد من النِّعْمَة على قدر حظّه من الْهِدَايَة وحظّه مِنْهَا على قدر حظّه من الرَّحْمَة فَعَاد الْأَمر كلّه إِلَى نعْمَته وَرَحمته وَالنعْمَة وَالرَّحْمَة من لَوَازِم ربوبيّته فَلَا يكون إِلَّا رحِيما منعما وَذَلِكَ من مُوجبَات إلهيّته فَهُوَ الْإِلَه الْحق).

سادسًا: أغراض سورة الفاتحة:

اشتملت السورة على أغراض عدة، تحدث عنها بعض المفسرين وهي:
١-حمد الله تعالى وتمجيده، والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليّة، وتنزيهه عن جميع النقائص.
٢-إثبات البعث والجزاء.
٣-إفراده بالعبادة والاستعانة.
٤-التوجه إليه بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، والتضرع إليه بتثبيتهم على الصراط المستقيم.
٥-الإخبار عن قصص الأمم السابقين.
كما اشتملت السورة على الترغيب في الأعمال الصالحة. وهي تُذكِّر بأساسيات الدين: شكر نعم الله في قوله (الحمد لله)، والإخلاص لله في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين)، والصحبة الصالحة في قوله (صراط الذين أنعمت عليهم)، وتذكر أسماء الله الحسنى وصفاته في قوله (الرحمن الرحيم)، والاستقامة في قوله (اهدنا الصراط المستقيم)، الآخرة في قوله (مالك يوم الدين)، بالإضافة لأهمية الدعاء في قوله (نعبد، نستعين).
قال البقاعي: «إن سورة الفاتحة جامعة لجميع ما في القرآن، فالآيات الثلاث الأُول شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى والصفات العلى، فكل ما في القرآن من ذلك فهو مفصل

من جوامعها، والآيات الثلاث الأُخر من قوله: (اهدنا) شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الوصول إلى الله، والتحيز إلى رحمته، والانقطاع دون ذلك، فكل ما في القرآن فمن تفصيل جوامع هذه، وكل ما يكون وصلة بين ما ظاهره من الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق فمفصل من آية إياك نعبد وإياك نستعين».

وذكر ابن القيم أن السورة اشتملت على الرد على جميع طوائف أهل البدع والضلال، كما بينت منازل السائرين، ومقامات العارفين، وبيان أنه لا يقوم غير هذه السورة مقامها، ولا يسد مسدها، ولذلك لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل مثلها. وقد فصل الشيخ عبد الرحمن السعدي في بيان موضوعاتها في تفسيره.

خامسًا: مسائل فقهية متعلقة بسورة الفاتحة:

المسألة الأولى: قراءة الفاتحة في الصلاة:

قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة ركن من أركانها لابد من الإتيان به، سواء أكانت صلاة فرضًا أم نفلًا، سرًا أم جهرًا، وسواء أكان المصلي إمامًا أم مأمومًا أم منفردًا، فلا تصح الصلاة بدونها مع القدرة عليها؛ لأن ذلك شرط في صحتها، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد، إلا أبا حنيفة فذهب إلى أن الصلاة تجزئ بقراءة ما تيسر من القرآن؛ آية طويلة، أو ثلاث آيات قصار، أو سورة قصيرة.

واستدل الجمهور على وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة بأحاديث؛ منها:

١- حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» متفق عليه. وهو عام في كل صلاة من غير استثناء.

٢- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجزئ صلاة لا يُقرأ فيها بفاتحة الكتاب» رواه ابن خزيمة وابن حبان وأبو حاتم. وهو عام أيضا.

٣- وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج، يقولها ثلاثًا» رواه مسلم. وغيرها من الأدلة. وخداج ناقصة غير تامة.

وأما أبو حنيفة ومن وافقه فاستدلوا بقوله تعالى: "فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ" [المزمل: ٢٠] وبحديث المسيء في صلاته، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «ثم اقرأ ما تيسر من

القرآن» رواه البخاري ومسلم.

والجواب عن ذلك أن المراد بالقراءة في الآية هو تلاوة القرآن بعد الفاتحة بما يتيسر منه، وذلك في صلاة التهجد، كما يدل عليه أول الآية: "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ" [المزمل: ٢٠]، وأما حديث المسيء في صلاته، فهو يشير أيضًا إلى القراءة بعد الفاتحة بما يتيسر من القرآن، ويوضحه ويفسره الرواية الأخرى للحديث: «ثم اقرأ بأم القرآن».

حكم من لم يحفظ الفاتحة:

إذا تبين أن قراءة الفاتحة ركن ولا تصح الصلاة بدونها، وكان المصلي لا يحسنها، ويحسن سبع آيات غيرها من القرآن كان عليه أن يقرأها، وإن كان غير عربي ولم يحفظ شيئًا من القرآن كان له أن يذكر الله تعالى قدر الفاتحة بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. لحديث رفاعة بن رافع رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم رجلًا الصلاة فقال: «إن كان معك قرآن فاقرأ، وإلا فاحمده وكبره وهلله ثم اركع» رواه أبو داود والترمذي.

المسالة الثانية: هل يلزم المأموم الذي خلف الإمام قراءة الفاتحة؟

ذهب الشافعي وأحمد إلى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، سواء أكانت الصلاة سرية أم جهرية، وأن صلاته لا تصح بدونها، مستدلًا بحديث عبادة بن الصامت السابق: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». وذهب مالك إلى أن المأموم يقرأ الفاتحة خلف الإمام في الصلاة السرية كالظهر والعصر، دون الجهرية لحديث عبادة السابق، وإن تركها في السرية فلا شيء عليه، وأما الجهرية فلا يقرأ فيها لوجوب الاستماع إلى الإمام وهو يقرأ، لقوله تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" [الأعراف: ٢٠٤].

وذهب أبو حنيفة إلى أن المأموم لا يقرأ شيئًا في الصلاة السرية، ولا في الصلاة الجهرية أخذًا من الآية السابقة، ولحديث جابر: «من كان له إمام فقراءة الإمام قراءة له». رواه ابن ماجه وأحمد. وقد ضعفه أهل العلم.

أما إذا أدرك المأموم الإمام حال ركوعه فقراءة الفاتحة في هذه الحال تسقط عنه.

المسألة الثالثة: هل البسملة من الفاتحة؟

من المتفق عليه أن عدد آيات الفاتحة سبع، لقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي

وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)[الحجر: ٨٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (أمُّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم)، والحديث تقدم ذكره.

وعلى هذا هل البسملة آية من الفاتحة أو آية مستقلة جاءت للفصل بين سور القرآن عدا براءة ؟

مذهب الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة أنها ليست آية من الفاتحة، واستدلوا بحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد {بسم الله الرحمن الرحيم} قال الله سبحانه: مجدني عبدي، وإذا قال: {الحمد لله رب العالمين} قال الله تبارك وتعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: {الرحمن الرحيم} قال الله عزّ وجلّ أثنى علي عبدي، وإذا قال: {مالك يوم الدين} قال الله فوض إلي عبدي، وإذا قال: {إياك نعبد وإياك نستعين} قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال: {اهدنا الصراط المستقيم} قال الله تعالى هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل». رواه مسلم في صحيحه، ولم يذكر البسملة، ولو كانت آية منها لعدها.

واستدلوا بحديث أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: (صلَّيتُ خلفَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأبي بكرٍ، وعمرٍ؛ فكانوا لا يذكُرونَ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ في أوَّلِ قراءةٍ، ولا في آخِرِها). فلما لم يقرأوا البسملة جهرًا، وقرأوا ما بعدها دل على أن البسملة ليست منها.

وذهب الشافعية إلى أن البسملة آية كاملة من الفاتحة ومن كل سورة وأنه يقرأ بها سرًا في السرية، وجهرًا في الجهرية؛ واستدلوا بما جاء عن أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة: بسم الله الرحمن الرحيم، فعدها آية منها»، وبما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قرأتم الحمد فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها) رواه الدار قطني، ولأن الصحابة أثبتوها فيما جمعوا من القرآن في أوائل السور، وأنها مكتوبة بخط القرآن، وكل ما ليس من القرآن فإنه غير مكتوب بخط القرآن، وأجمع المسلمون على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى، والبسملة موجودة بينهما.

والذي يترجح هو الرأي الأول لقوة أدلته وصراحتها، فالبسملة آية مستقلة من كل سورة عدا براءة، وعلى القارئ أن يأتي بها وإن تركها صحت صلاته.

وعلى القول الأول وأن البسملة ليست من الفاتحة فالآية السابعة هي (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، وعلى القول الثاني الآية السابعة (صراط الذين أنعمت عليهم ....ولا الضالين)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والفاتحة سبع آيات بالاتفاق، وقد ثبت ذلك بقوله تعالى: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (فاتحة الكتاب هي السبع المثاني) وقد كان كثير من السلف يقول البسملة آية منها ويقرأها، وكثير من السلف لا يجعلها منها ويجعل الآية السابعة {أنعمت عليهم} كما دلَّ على ذلك حديث أبي هريرة الصحيح، وكلا القولين حق؛ فهي منها من وجه، وليست منها من وجه، والفاتحة سبع آيات من وجه تكون البسملة منها فتكون آية. ومن وجه لا تكون منها فالآية السابعة {أنعمت عليهم} لأن البسملة أنزلت تبعاً للسور) أهـ.

المسألة الرابعة: هل آمين من الفاتحة؟

معنى آمين: هي كلمة دعاء وليست من القرآن الكريم ولا من الفاتحة إجماعاً، بدليل أنها لا تكتب في المصحف، ومعناها: استجب دعاءنا يا رب.

والتأمين خلف الإمام ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (إذا قال الإمام "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فقولوا آمين، فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه)، الحديث متفق عليه.

وثبت عنه أنه قال: (إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه.

ومعنى آمين، اللهم استجب، ويجوز المد فيها والقصر.

سادسًا: الاستعاذة معناها وأحكامها:

أمر الله عند قراءة الفاتحة أو سورة أو آية من القرآن بالاستعاذة، قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ القرآن فاستعذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم}، [النحل: ٩٨]، والحكمة فيه أن العبد قد ينجس لسانه بالكذب والغيبة، والنميمة، فأمر الله تعالى العبد بالتعوذ ليصير لسانه طاهراً، فيقرأ بلسان طاهر، كلاماً طيبًا أنزل من رب طيب، كما أنه إذا دخل في قراءة القرآن قد يأتي إليه الشيطان فيلبس عليه قراءته فإذا تعوذ عند بدء القراءة احترز ممن تلبيس الشيطان عليه قراءته.

والاستعاذة قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومعنى أعوذ من العَوذ؛ وهو الالتجاء

والاعتصام والاستجارة، أي: ألتجئُ، وأعتصم وأستجير.
(بالله) الباء للاستعانة، أي: أستعين بالله، وقيل: للإلصاق، أي: ألتصق بجنابه سبحانه وتعالى، (الله) اسم علم دال على ذاته سبحانه وتعالى، ومعناه: المألوه، أي: المعبود.
(من) حرف لابتداء الغاية. (الشيطان) مشتق من شَطَنَ، إذا بَعُدَ، وقيل: من شَاطَ، إذا هَلَكَ واحترق. (الرجيم) على وزن فعيل، بمعنى مفعول، أي: مرجوم باللعنة، ومطرود من الرحمة.
والمعنى: ألجأ وأستجير بالله، وأستعين به من شرِّ وفساد الشيطان الملعون من الجن والإنس والمخلوقات وغيرها أنْ يغويني أو يضلني في ديني ودنياي.
وأما حكمها: فقد أجمع العلماء على أن الاستعاذة ليست من القرآن، ولا آية منه، وأمّا حكمها قبل قراءة القرآن سواء في الصلاة أو خارجها، فيسنُّ التعوّذ بها سرّاً في الصلاة في أول كل ركعة قبل القراءة؛ لأن القراءة تنتهي مع كل ركعة، وخارج الصلاة يتعوذ بها سرًا أو جهرًا حسب قراءته، والدليل قوله تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» [النحل:٨٩].
صيغ الاستعاذة: للاستعاذة صيغ كثيرة ولكن هناك صيغ مختارة:
١-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
٢-أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.
٣- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه و نفثه ونفخه.
ومعنى همزه: نوع من الجنون أو الصرع، ونفخه ما ينفخه الشيطان في الإنسان من الكِبر، ونفثه: الشعر والقصائد المذمومة التي يحث عليها. عليها.
مواضع الاستعاذة:
١-عند قراءة القرآن: لقوله تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» [النحل: ٨٩].
٢-عند تلبس الشيطان على المسلم في صلاته: فعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي، وقراءتي، يلبسها عليّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذاك الشيطان، يقال له

خِنْزَبُ، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً)، قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني. رواه مسلم.

فإذا كان الإنسان مع الجماعة فكيف يتفل عن يساره ؟ فالجواب: إن كان آخر واحد على اليسار أمكنه أن يتفل عن يساره في غير مسجد، وإلا فليتفل عن يساره في ثوبه في غترته في منديل، فإن لم يتيسر هذا كفى أن يلتفت عن يساره ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

٣- عند دخول الخلاء: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث) رواه البخاري.

٤- عند الغضب: جاء في حديث الرجل الذي اشتد غضبه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: البخاري.

٥- عند نزول منزل: قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك) رواه مسلم.

٦-عند سماع نهيق الحمير ونباح الكلاب: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم نباح الكلاب، ونهيق الحمر بالليل فتعوذوا بالله فإنهن يرين مالا ترون)، رواه أبو داود.

٧-عند رؤية الإنسان رؤيا يكرهها: قال صلى الله عليه وسلم (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان، ويتحول عن جنبه الذي كان عليه)، رواه مسلم.

٨- عند الفزع من النوم: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا فزع أحدكم من النوم، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون)، رواه أبو داود والترمذي.

الذي يألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شرَّ ما أجد وأحاذر)، رواه مسلم.

سابعًا: البسملة:

البسملة هي قول القائل: (بسم الله الرحمن الرحيم) ، والتسمية قولك (بسم الله) فالبسملة

تشرع عند قراءة القرآن، وعند كتابة الرسائل والكتب، قال تعالى: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).[النمل٣٠]. وأما التسمية فتشرع في كل الأمور المحمودة كالدخول والركوب والذبح والنوم وغير ذلك من الأفعال المطلوبة، قال تعالى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [هود٤١].

والبسملة آية من القرآن الكريم جاءت للفصل بين السور باتفاق العلماء، كما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم قالوا : كنا لا نعرف انقضاء السورة حتى تنزل " بسم الله الرحمن الرحيم " أخرجه أبو داود. عدا سورة براءة فلا يبسمل القارئ عند افتتاحها والسر في ذلك ما جاء عن علي بن أبي طالب من أنه سئل عن ذلك، فقال: (أنها نزلت في السيف، وليس في السيف أمان، وبسم الله الرحمن الرحيم من الأمان)، وقيل: إنّه كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قومٍ عهد ثم أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يبدؤوا فيه ببسم الله فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – والمشركين لما كان منهم من نقض عهود وخيانة بعَثَ النبي صلى الله عليه وسلم بسورة التوبة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأها عليهم في موسم الحج ولم يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم جرياً على عادة العرب في ذلك فيما يخص نقض العهد من ترك البسملة.

وهي جزء من آية من سورة النمل (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

وأما حكم قراءتها في الصلاة فاختلف أهل العلم في حكمها فذهب بعضهم إلى وجوب قراءتها في الفاتحة وفي كل سورة في السر والجهر.

والرأي الثاني أنها آية مستقلة نَزلت للتبرُّك والفَصْل بين السور، وقراءتها في الفاتحة مستحبة، لكنها غير واجبة وتَصِح الصلاة بدونها، وهذا المذهب يقول: لا يجهر بالبسملة، ولكنْ تُقال سرًّا. واستدلوا بحديث أنس: صلَّيْتُ خلف الرسول وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا لا يَجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم، رواه النسائي وابن حبان بإسناد على شرط الشيخين.

ويمكن أن يقال: إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يَجهَر بها أحيانًا وأحيانًا كان يُسِرُّ بقراءتها، فالسنة الثابتة قراءتها سرًّا، وإن جهر بها أحيانًا فلا حرج.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.